العصبية

وخطرها على الفرد والمجتمع

إعداد

أ/ عبده عبدالله علي مسعد العبدلي

إهـــــــــداء

- أهدي هذا العمل لكل من ربانـي و أرشـدني واخـذا بيـدي إلـى هـذا الطريـق طريـق الأنبيـاء المـربين واخص بالذكر ا/ عبدالسلام البرطي حفظه الله ورعاه.
- وكـذلك لكـل مربـي يعمـل فـي حقـل التربية الخاصة والعامة .
- وأخيـراً لمـن لهـم الفضـل بعـد الله تعالي ابي وأمي

المقدمة

الحمد لله القائل (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ{١٢} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ{١٣} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ{١٤}) ([1])

وصلاة وسلام علي خير الأنام محمد عليه أزكا الصلاة وأتم السلام

أما بعد :

لقد ابتلي كثير من أهل الإسلام في هذه الأزمان بخصلة مشينة ، تمتد جذورها إلى زمن الجاهليين المشركين ، وكانت حرب هذه الخصلة مقصداً من مقاصد بعثة رسول الله r إلى العالم ، تلك هي خصلة العصبية الجاهلية ، بفعله الشريف وقوله المنيف ، بل نزل القرآن الكريم بإبطالها وإحلال القاعدة الشريفة مكانها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً)

وهذا هو المناسب لكون دين الله تعالي الإسلام عاماً لجميع الثقلين الإنس والجن ، كما أنه المناسب لدين باق إلى قيام الساعة .

لقد كان أهل الجاهلية متفرقين) كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ(لا يحكمهم دين ولا عقل سليم ، قويهم يأكل ضعيفهم تفنيهم الحرب أجيالاً بعد أجيال من أجل استغاثة رجل بقبيلته ولو على باطل ، ونحو ذلك من تفاهات الأسباب وحقيرات البواعث.

فجاء الإسلام ماحياً كل هذه الظواهر المقيتة في حياتهم ، حيث ساوى بينهم في الحقوق ، وجعل شعار عصبيتهم ((الإسلام)) وفاضل بينهم بالتقوى وطاعة الله تعالى ، فلا فضل لعربي على عجمي ، ولا عجمي على عربي ، ولا لأحمر علي أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا

[1]) سورة المؤمنون

بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

قال الله تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) ([٢]) ولا سبيل إلي انتشار الإسلام كما كان أول أمره إلا إذا ألغي المسلمون جميع الشعارات إلا شعار الإسلام ، فصارت موالاتهم ومعاداتهم على هذا الدين القويم ، إذا أحبوا أحبوا لله ، وإذا أبغضوا أبغضوا لله ، وبذلك تنال ولاية الله عز وجل : (نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) ([٣])

إن معرفة الإنسان لقبيلته وانتسابه لها والمحافظة على الانتساب لا يذم في الشرع بل جاء في الحديث عن أبي هريرة : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال ((تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر(٤)) ، إنما المذموم الافتخار بالقبائل ، وذم أنساب الناس واحتقار من لم يعرف بقبيلة ، فتلك دعوى الجاهلية ، وتلك الدعوة المنتِنة .

وهذا البحث أو هذه الرسالة القصيرة المختصرة المتواضعة تصب في دراسة و علاج هذه الظاهرة التي هي متأصلة في مجتمعنا اليمني ومتجذرة فيه .

ومن هذا المنطلق الذي يتحمله الدعاة إلى الله يكون عليهم العبء الثقيل في استئصال هذه الظاهرة الدخيلة على مجتمعنا المسلم .

وفي الأخير اسأل الله أن يكتب أجر هذا العمل في ميزان حسنات من دلنا عليه وكلفنا به

تنسيق وإعداد

أ/ عبده عبدالله علي مسعد العبدلي

الراهدة/تعز/اليمن السعيد

٢٣/ من محرم الحرام ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٢/١٢/٧م

alhwmary2012@yahoo.com

---

٢) الجمعة:٢

٣) لأنفال: من الآية٤٠

٤) سنن الترمذي قال الشيخ الألباني : صحيح

تعريف العصبية

تعريف العصبية لغة :

(العصبية) المحاماة والمدافعة عمن يلزمك أمره أو تلزمه لغرض(٥)

العَصَبِيَّةُ : أَن يَدْعُوَ الرجلَ إِلى نُصْرةِ عَصَبَتِه والتَّأَلُّبِ معهم على من يُناوِئُهُم ظالمين كانوا أَو مظلومين . وقد تَعَصَّبُوا عليهم إِذا تَجَمَّعُوا فإِذا تجمعوا على فريق آخر قيل : تَعَصَّبُوا . وفي الحديث : العَصَبِيُّ مَنْ يُعِين قومَه على الظُّلْم . العَصَبِيُّ هو الذي يَغْضَبُ لعَصَبَتِه ويُحامي عنهم . و العَصَبَةُ : الأَقارِبُ من جهة الأَب لأَنهم يُعَصِّبونه و يَعْتَصِبُ بهم أَي يُحِيطُون به ويَشْتَدُّ بهم . وفي الحديث : ليس مِنَّا من دَعا إِلى عَصَبِيَّةٍ أَو قاتَلَ عَصَبِيَّةً . العَصَبِيَّةُ و التَّعَصُّبُ : المحاماةُ والمدافعةُ : و تَعَصَّبْنا له ومعه : نَصَرناه . و عَصَبةُ الرَّجُل : قومُه الذين يَتَعَصَّبون له. وعَصَبُ القوم : خِيارُهم . و عَصَبُوا به : اجْتَمَعُوا حَوْلَه قال ساعدة : ولكنْ رأَيتُ القومَ قد عَصَبوا به فلا شَكَّ أَنْ قد كان ثَمَّ لَحِيمُ و اعْصَوصَبُوا : اسْتَجمعوا فإِذا تَجَمَّعُوا على فريقٍ آخرَ قيل : تَعَصَّبُوا . و اعْصَوصبُوا : اسْتَجْمَعُوا وصاروا عِصابةً وعَصائِبَ .(٦)

تعريف العصبية في الاصطلاح :

عرفها بن خلدون في مقدمته بأنها (النعرة على ذوي الأقارب ومن ذوي الأرحام من ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة ...ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نعرة كل احد على أهل ولائه و حلفه)(٧)

وهناك من الباحثين من فسرها (رابطة الدم) أو (التكاتف الاجتماعي) أو (تضامن قبلي) إلى غير ذلك من التفسيرات والتعريفات ,,,,,,

أن يقف الرجل مع عصبته ويؤيدهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهر البحر نملأه سفينا

---

٥) المعجم الوسيط

٦) لسان العرب

٧) مقدمة بن خلدون

إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخر له الجبابر ساجد ينا

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

أنواع العصبية

١- العنصرية (٨): (العنصر) الأصل والحسب يقال فلان كريم العنصر والجنس يقال فلان من العنصر الآري أو السامي (العنصرية) تعصب المرء أو الجماعة للجنس

٢- الطائفية : وهي التعصب لطائفة معينة والإنحياز لها و يحظ أن التدخل من قبل الأجنبي في لبنان كان دائماً يأتي عن طريق استغلال الطائفية وتنميتها وتوظيفها سياسياً، وكانت كل طائفة تسعى من أجل حماية وجودها إلى الاحتماء بإحدى البلدان الأجنبية، مما جعل الساحة اللبنانية مادة قابلة للانفجار في أية لحظة.

ففي فترة الصراعات طائفية ما بين الدروز([٩]) والموارنة([١٠]) بين العامي (١٨٤٠-١٨٦٠م) كانت كل طائفة من الطائفتين على ارتباط وثيق بإحدى الدولتين الكبيرتين آنذاك بريطانيا وفرنسا، فالدروز احتموا بالبريطانيين خلال أحداث ١٨٦٠م، مما سمح لبريطانيا باستغلال ذلك من أجل التدخل في الشؤون الداخلية للسلطنة العثمانية من جهة، ولمنافسة فرنسا من جهة أخرى([١١]).

٣- المذهبية : وهي التعصب لمذهب معين ك (شافعي ، حنبلي، مالكي ،حنفي، زيدي ، ، ، ،) وغيرها

٤- القبلية : وهي التعصب للقبيلة والقبيلة من الناس : بنو أب واحد . قال الزجاج ([١٢]): القبيلة من ولد إسماعيل عليه السلام : كالسبط من ولد إسحاق عليه السلام ، سموا بذلك ليفرق بينهما ، ومعنى القبيلة من ولد إسماعيل : معنى الجماعة ، يقال لكل جماعة من واحد : قبيلة . ويقال لكل جمع على شيء واحد : قبيل ، قال الله تعالى : (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا تروهم)([١٣]) واشتق الزجاج القبائل : من قبائل الشجرة ، وهي أغصانها .

---

[٨]) المعجم الوسيط

[٩]) فرقة باطنية (*) تؤلّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نشتكين الدرزي. نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام. عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين / نقلاً من كتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة

[١٠]) المارونية، طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين، قالوا بأن للمسيح(*) طبيعتين ومشيئة واحدة(*)، ينتسبون إلى القديس مارون ويعرفون باسم الموارنة متخذين من لبنان مركزاً لهم. / نقلاً من كتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة

[١١]) طوائف لبنان

[١٢]) المحكم والمحيط الأعظم

[١٣]) الأعراف٢٧

٥- الأسرية : وهي التعصب للأسرة الفلانية ذات التاريخ العريق والماضي الرفيع

٦- الحزبية : وهي التعصب للحزب الفلاني و الإستماته لأجله

٧- الوطنية أو المناطقية : وهي التعصب لبلده ووطنه رغم أن المسلم كل بلاد المسلمين وأوطانهم هي وطنه قال الشاعر :

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط جيراني

وأينما ذُكر اسم الله في بلدٍ عددت ذاك الحمى من صلب أوطاني

٨- الدينية وهي التعصب المرء على أساس دينه ويسعى للإلغاء الآخر ومحوه من الوجود

٩- المهنية (الوظيفية) وهي التعصب لعمله الذي يعمله ويحقر الأعمال والمهن الأخرى

١٠- العرقية أو الحسب والنسب : والحسب: هو المآثر، مآثر الشخص في ماله، أو حسبه يعني مآثر آبائه وأجداده، مما يكون عندهم من الكرم والشجاعة، أو الدين، أو العلم، أو غير ذلك، فيفتخر بذلك، يفتخر بما كان عليه آباؤه من الشرف، والحسب والمآثر فيبدأ يعددها ويفاخر بها، وهذا من صفة الجاهلية. وقد يكون في بعض المسلمين من يفعل ذلك، وهذا الفعل مذموم؛ لأنه منسوب إلى الجاهلية، ولو كان محموداً لما نسب إلى الجاهلية، التي أنقذنا الله منها ببعثة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-.

. والنسب : وهو التعصب لآبائه واجداده النَسَبُ: واحد الأنساب. والنِسْبَةُ والنُسْبَةُ مثله. وانتسب إلى أبيه، أي اعتزى. وفي المثل: " القريبُ مَنْ تَقَرَّبَ لا مَنْ تَنَسَّبَ "

قال الشاعر :

الناس في صورة التشبيه أكفاء أبوهم آدم والأم حواء

نفس كنفس وأرواح مشابهة وأعظم خلقت فيهم وأعضاء

فإن لم يكن لهم في أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء

مظاهر و صور العصبية

١- هضم حقوق الآخرين

٢- الظلم و النصرة بالباطل

٣- التعالي و تقييم الناس ووزنهم

٤- الاحتقار بكل أشكاله وخاصة احتقار بعض المهن والحرف

٥- إلصاق النقائص بالآخرين وتعييرهم

٦- تزكية النفس والنسب

٧- السخرية والاستهزاء

٨- الغمز واللمز ب الألفاظ والكلمات

٩- ادعاء السيادة والأفضلية

١٠ الاستئثار بحقوق الآخرين

١١- الثأر

أسباب العصبية

١- الجهل و غياب الوازع الإيماني الصحيح

٢- اختلال ميزان العدل الاجتماعي

٣- حب العلو على الناس

٤- الكبر وغمط الناس وبطر الحق

٥- الانتصار للقريب بالباطل

٦- المخالفة في المعتقد أو المذهب أو اللغة أو ...

٧- إتباع الهوى

٨- الشعور بالنقص

٩- إقصاء المنهج الشرعي عن ساحة الحياة

١٠- التقليد الأعمى

١١- (فرق تسد) مبدأ أعداء الإسلام

باختصار تعود أسباب العصبية إلى الموازين والأهواء البشرية البعيدة عن هدي السماء

أخطار العصبية على الفرد والمجتمع الواحد

١ ـ ضعف الإيمان والولاء لله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٢. ازدراء المؤمنين ونقيصتهم والحط من قدرهم.

٣ ـ انتشار البغض والكراهية وشيوعه

٤ـ التفرق والتمزق والتشرذم

٥ ـ ظهور الفتن وعدم الاستقرار وتعطيل مصالح الأمة الكبرى.

٦ ـ الضعف والذل والمهانة

٧ ـ انتشار الظلم وشيوعه لأن المتعصب يستبيح حقوق الآخرين

٨ ـ سيطرة روح الانتقام و تحقق العداوة والبغضاء بين المسلمين .

٩ ـ تقوية نفوذ الأعداء

١٠ ـ غياب المبادئ الأخلاقية السامية وانحلالها (التراحم ، التكافل ، ...الخ)

١١ ـ الانحراف عن الدين والشرع

١٢ ـ سيطرة الأهواء والإعراض عن الحق

١٣ ـ اختلال التوازن الاجتماعي

١٤ ـ سيطرة المصالح والنزعات الشخصية وحصول الفخر والكبر والخيلاء.

١٥ ـ تدمير المجتمع ولو بعد حين

روافد التعصب

1ـ الشعر ولغة القصيدة التي تشبب الناس وتربيهم على التعصب المذموم.

٢ـ مجالس الشعر وعقد المسابقات التي تؤجج نار المنافسة بين القبائل.

٣ ـ الاجتماعات القبلية التي يكون هدفها الرئيس تمجيد تاريخ القبيلة وتذاكر مفآخرها وليس هدفها بذل الإحسان والصلة وتفعيل التكافل الاجتماعي لدى أفرادها.

كيف عالج الإسلام العصبية

١ـ التذكير بأصل الإنسان :

إن على الدعاة التذكير الدائم لمجتمعهم بأصل الإنسان ومما خلق فهذا الخطاب يرد الإنسان المتعب إلى جادة الصواب وهو كذلك الخطاب القرآني وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه

فالتراب : هو معدن الإنسان ، فخلقته الجسدية من عناصر منه متساوية في الذكر والأنثى ، وهذه مقصودة حتى لا يفخر أحد على أحد قال الله عز وجل : {الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين }السجدة ٧ . قال تعالى : {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين }المؤمنون١٢ .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أبيض على أسود ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى الناس من آدم وآدم من تراب " (١٤)

يقول أبو العتاهية:

يا عجباً للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا

وعبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبر

لا فخر إلا فخر أهل التقى غداً إذا ضمهم المحشر

ليعلمن الناس أن التقي والبر كانا خير ما يدخر

عجبت للإنسان في فخره وهو غداً في قبره يقبر

ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفجر

أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر

وأصبح الأمر إلى غيره في كل ما يقضي وما يقدر

[١٤]) حديث صححه الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث شرح الطحاوية لأبن أبى العز

٢- التقوى قاعدة التفاضل في الإسلام :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا أيها الناس ! إن ربكم واحد و إن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي و لا عجمي على عربي و لا أحمر على أسود و لا أسود على أحمر إلا بالتقوى *(إنأ كرمكم عند الله أتقاكم)* ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : فيبلغ الشاهد الغائب " (١٥)

في هذا الحديث فوائد ينبغي الإشارة إلى بعضها:

منها: أن التفاضل بين الناس والعباد يجب أن يكون على أساس التقوى والعمل الصالح، وليس أي اعتبار آخر غير اعتبار العقيدة والتقوى، والعمل الصالح.

ومنها: بيان بطلان اعتبار التفاضل على أساس لون البشرة، أو الانتماء العرقي، أو الانتماء القومي، أو الانتماء القبلي والإقليمي أو العائلي، أو الانتماء الوطني، أو الانتماء إلى لغة معينة.. وغيرها من الولاءات والانتماءات التي لا تعتبر التقوى والعمل الصالح الميزان الوحيد للتفاضل بين الناس فهذه الولاءات كلها باطلة وجاهلية نتنة، مؤداها إلى الشرك، وعبادة أوثانٍ ضخمةٍ من دون الله تعالى.

ومنها: بيان بطلان اعتبار التفاضل بين الناس على أساس الغنى والفقر، أو على أساس الجاه، والمناصب، أو الرياسة والزعامة، أو الشهادات والوظائف.. وغير ذلك من الاعتبارات الوضيعة السائدة في عرف كثير من الناس!!

فالمرء يساوي في نظر الآخرين –المهزومين داخلياً وعقدياً– بقدر ما يملك من مال، وعلى قدر ما يملك من مال وجاه بقدر ما يتعاظم شأنه عند الناس المهزومين إيمانياً، وتقدم له التبجيلات والاحترامات، والتنازلات، والامتيازات، بغض النظر عن دينه وأخلاقه وتقواه!!

ومنها :أن الحقوق والواجبات يجب أن تُقسَّم على أساس الانتماء العقدي الديني، وعلى اعتبار الأتقى والأصلح، وليس على أساس الانتماء الوطني أو الإقليمي، كما هو سائد في الأمصار والأقطار!!

---

١٥) السلسلة الصحيحة للألباني " ٦ / ٤٤٩

يقول سيد قطب رحمه الله (١٦): ليس للون والجنس واللغة والوطن، وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله. إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويُعرف به فضل الناس: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم }.والكريم حقاً هو الكريم: عند الله وهو يزنكم عن علمٍ وعن خبرة بالقيم والموازين :{إن الله عليم خبير}

وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس. ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد، كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته :لواء التقوى في ظل الله. وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت، وكلها من الجاهلية وإليها، تتزيا شتى الأزياء، وتتسمى بشتى الأسماء، وكلها جاهلية عارية من الإسلام!

وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها، ليقيم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة: راية الله.. لا راية الوطنية، ولا راية القومية، ولا راية البيت، ولا راية الجنس، فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام.

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "كلكم بنو آدم، وآدم خُلِقَ من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان."

وقال– صلى الله عليه وسلم– عن العصبية الجاهلية: "دعوها فإنها منتنة."

وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، المجتمع الإنساني العالمي، الذي تحاول البشرية في خيالها المحلق أن تحقق لوناً من ألوانه فتخفق، لأنها لا تسلك إليه الطريق الواحد الواصل المستقيم.. الطريق إلى الله.. ولأنها لاتقف تحت الراية الواحدة المجمِّعَة.. راية الله ا–هـ.

---

١٦) في الظلال القرآن الكريم (٣٣٤٨/٦)

٣- ذم العصبية والتحذير منها :

قال تعالى {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }(١٧)

وقال تعالى : {لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }(١٨)

٤- الجزاء الذي يناله الوالغ في العصبية :

عن أبي هريرة قال قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– « إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية(١٩) الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقى وفاجر شقى أنتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان(٢٠) التى تدفع بأنفها النتن ».

وعن جبير بن مطعم أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال « ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية (٢١)».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– أَنَّهُ قَالَ « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ

---

١٧) التوبة٢٤

١٨) المجادلة٢٢

١٩) العبية : الكبر والفخر

٢٠) الجعل : جمع الجعل وهو دويبة سوداء كالخنفساء تدير الخراء بأنفها

٢١) سنن ابي داؤد

عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ(٢٢) مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِى لِذِى عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَلَسْتُ مِنْهُ ».

عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– أَنَّهُ قَالَ :(ومَنْ دَعَا دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ " ، قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى ؟ قَالَ : " وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى "(٢٣)

٥- قاعدة الأخوة الإيمانية :

ولذا كان على المؤمنين أن يعلموا أنه لا قيمة لهم بغير دينهم وسيبقون في شقاق وفي آخر الركب إذا لم يتبعوه قال تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (٢٤)

يقول السيد رحمه الله :(٢٥)

اتقوا الله – كما يحق له أن يتقى – وهي هكذا بدون تحديد تدع القلب مجتهدا في بلوغها كما يتصورها وكما يطيقها . وكلما أوغل القلب في هذا الطريق تكشفت له آفاق ، وجدت له أشواق . وكلما اقترب بتقواه من الله ، تيقظ شوقه إلى مقام أرفع مما بلغ ، وإلى مرتبة وراء ما ارتقى . وتطلع إلى المقام الذي يستيقظ فيه قلبه فلا ينام !

(ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) . .

والموت غيب لا يدري إنسان متى يدركه . فمن أراد ألا يموت إلا مسلما فسبيله أن يكون منذ اللحظة مسلما ، وأن يكون في كل لحظة مسلما . وذكر الإسلام بعد التقوى يشي بمعناه الواسع:الاستسلام . الاستسلام لله ، طاعة له ، واتباعا لمنهجه ، واحتكاما إلى كتابه . وهو المعنى الذي تقرره السورة كلها في كل موضع منها ، على نحو ما أسلفنا

---

٢٢) يتحاشى : لا يفزع لذلك ولا يكترث له ولا ينفر منه

٢٣) مسند الإمام أحمد

٢٤) آل عمران:١٠٣

٢٥) في ظلال القرآن - (ج ١ / ص ٦١) وفي ظلال القرآن - (ج ١ / ص ٤١٠)

هذه هي الركيزة الأولى التي تقوم عليها الجماعة المسلمة لتحقق وجودها وتؤدي دورها . إذ أنه بدون هذه الركيزة يكون كل تجمع تجمعا جاهليا . ولا يكون هناك منهج لله تتجمع عليه أمة ، إنما تكون هناك مناهج جاهلية . ولا تكون هناك قيادة راشدة في الأرض للبشرية ، إنما تكون القيادة للجاهلية .

فأما الركيزة الثانية فهي ركيزة الأخوة . . الأخوة في الله ، على منهج الله ، لتحقيق منهج الله:

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) . .

فهي أخوة إذن تنبثق من التقوى والإسلام . .

من الركيزة الأولى . . أساسها الاعتصام بحبل الله – أي عهده ونهجه ودينه – وليست مجرد تجمع على أي تصور آخر ، ولا على أي هدف آخر ، ولا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة !

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) . .

هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى . وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائما . وهو هنا يذكرهم هذه النعمة . يذكرهم كيف كانوا في الجاهلية "أعداء" . .

وما كان أعدى من الأوس والخزرج في المدينة أحد . وهما الحيان العربيان في يثرب . يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون حول هذه العداوة وينفخون في نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعا . ومن ثم تجد يهود مجالها الصالح الذي لا تعمل إلا فيه ، ولا تعيش إلا معه . فألف الله بين قلوب الحيين من العرب بالإسلام . . وما كان إلا الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة . وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله إخوانا .

وما يمكن أن يجمع القلوب إلا أخوة في الله ، تصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخية ، والثارات القبلية ، والأطماع الشخصية والرايات العنصرية . ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال .

(واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا) . .

ويذكرهم كذلك نعمته عليهم في إنقاذهم من النار التي كانوا على وشك أن يقعوا فيها ، إنقاذهم من النار بهدايتهم إلى الاعتصام بحبل الله – الركيزة الأولى – وبالتأليف بين قلوبهم ، فأصبحوا بنعمة الله إخوانا – الركيزة الثانية –:

(وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) .

والنص القرآني يعمد إلى مكمن المشاعر والروابط:"القلب" . .

فلا يقول:فألف بينكم . إنما ينفذ إلى المكمن العميق: (فألف بين قلوبكم) فيصور القلوب حزمة مؤلفة متآلفة بيد الله وعلى عهده وميثاقه . كذلك يرسم النص صورة لما كانوا فيه . بل مشهدا حيا متحركا تتحرك معه القلوب: (وكنتم على شفا حفرة من النار) . .

وبينما حركة السقوط في حفرة النار متوقعة ، إذا بالقلوب ترى يد الله ، وهي تدرك وتنقذ ! وحبل الله وهو يمتد ويعصم . وصورة النجاة والخلاص بعد الخطر والترقب ! وهو مشهد متحرك حي تتبعه القلوب واجفة خافقة ، وتكاد العيون تتملاه من وراء الأجيال !

أمور يخطئ من يظن أنها من التعصب الجاهلي:

1-التمسك والاعتزاز بشيم وعادات القبيلة الحسنة من كرم وجود وشهامة وحسن جوار وغيرة على المحارم والحفاظ على القيم الفاضلة في المجتمع لأن ذلك من مكارم الأخلاق التي صانها الشرع ورغب فيها.

-2الاعتناء بالأنساب والمحافظة عليها ومذاكرتها وحفظها عن الضياع وضبطها لأن الشارع أمر بتعلم الأنساب لصلة الرحم وغير ذلك من المصالح.

-3طلب الكفاءة في النكاح وتخير الزوج الذي يناسب طبقة الزوجة ونسبها وحسبها لأن ذلك أمر مباح أقر به الشارع وعمل به الصحابة واختاره الإمام أحمد وجماعة.

-4الفخر والخيلاء بالعشيرة والبلد في موطن قتال الكفار ونصرة الدين فهذا عمل حسن لأنه توظيف لهذه الغريزة في سبيل الله في موطن يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لما فيه من شحذ الهمم وإذكاء روح المنافسة بين العشائر وأهل الأمصار فمصلحته راجحة لا مفسدة فيه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشجع القبائل ويعقد ألويتهم ويثني عليهم في الجهاد في سبيل الله.

والحاصل أن التعصب بجميع أشكاله وصوره مذموم شرعا وهو داء خطير خفي يصيب المؤمن في مقتله ويحمله على الظلم والتعدي والصد عن سبيل الله والإعراض عن اتباع الحق فيما يخالف الولاء كما يصيب القلب الحسد والرياء وسائر الأدواء والواجب على من ابتلي بذلك أن يطهر قلبه من هذا الداء ويداويه ويتبرأ منه بالكلية ليلقى ربه موحدا في ولائه لله ورسوله وطاعته لهما خاليا من القوادح والشبهات.

أما محبة المرء لقبيلته وعشيرته وبلده حبا معتدلا لا يحمله على الظلم ولا يوقعه في التفريط بحق الله فلا إفراط ولا تفريط ولا يترتب على ذلك مفسدة ظاهرة فهذا حب طبيعي فطري لا حرج فيه ولا يؤاخذ عليه المسلم ولا يسلم منه عاقل وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب عشيرته وبلده.

الخاتمة

إن أمتنا ليست بحاجة إلى مزيد من البعد عن الله ومزيد من الضعف والهوان والتمزق والتشتت بل إنها بحاجة إلى أن تعود إلى دين ربها وسنة نبيها ﷺ وأن ترتبط مع بعضها برباط الإخاء الإسلامي والتآلف الإيماني .

وأن تطرح عنها بعيداً كل عصبيات الجاهلية ونعراتها ، وتقف بحزم أمام كل من يدعوها إلى حميات الجاهلية سعياً نحو إضعافها والنيل منها وأن يحيد بها عن طريق القرآن وطريق الأمان والحياة الطيبة والنجاة في الدنيا والآخرة ، فلنعمل جميعاً لذلك ، ولنتخلص جميعاً من أمراض العصبيات وأدواء النعرات ولنكن كلنا أخوة في الله والدين ، ولنقل مع الشاعر :

سننظم الصف الذي عبثت فيه ... أيدي الجناة وسوف لن نتأخرا

سنحيى في ظل العقيدة أمة ... مرفوعة الأعلام محكمة العسرى

ولسوف تبقى أمتي منصورة ... مهما تطاول ظالم وتكبرا

أولم يبشرها الرسول نابها ... ستظل أقوى في الحبث وأكبرا

ستظل طائفة على إيمانها ... منصورة تبني الكيان الأكبرا

يا امة الإسلام وجهك لم يزل ... بالرغم من هول الشدائد سفرا

أخي هيا بنا لننشر في مجتمعاتنا ثقافة الحب والتسامح والتراحم ولنحذر من وساوس الشيطان ونزغاته ولنقوي أخوتنا ونوحد صفنا ونكون عباد الله إخوانا ولنقوم بواجباتنا ونؤدي الحقوق التي علينا ولنتذكر أننا على الله مقبلون ومن الدنيا راحلون ، ولأعمالنا محاسبون فلنحسن العمل .. اللهم ردنا إليك رداً جميلاً ولا تفتنا في ديننا ولا دنيانا .. والحمد لله رب العالمين وصلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

أ/ عبده عبدالله علي مسعد العبدلي

الراهدة/ تعز/ اليمن السعيد

٢٣/ من محرم الحرام ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٢/١٢/٧م

alhwmary2012@yahoo.com

المراجع

١ القرآن الكريم
٢ في ظلال القران الكريم سيد قطب
٣ مسند الإمام أحمد
٤ سنن الترمذي بتخريجات الألباني
٥ السلسلة الصحيحة للألباني
٦ الألباني في تخريجه لأحاديث شرح الطحاوية لأبن أبى العز
٧ لسان العرب
٨ المعجم الوسيط
٩ المحكم والمحيط الأعظم
١٠ مقدمة بن خلدون
١١ طوائف لبنان
١٢ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذهب المعاصرة

المحتويات

إهـــــــداء ٣

المقدمة ٤

تعريف العصبية ٦

تعريف العصبية لغة : ٦

تعريف العصبية في الاصطلاح : ٦

أنواع العصبية ٨

مظاهر و صور العصبية ١٠

أسباب العصبية ١٠

أخطار العصبية على الفرد والمجتمع الواحد ١١

روافد التعصب ١٢

كيف علاج الإسلام للعصبية ١٣

١ـ التذكير بأصل الإنسان : ١٣

٢- التقوى قاعدة التفاضل في الإسلام : ١٤

٣- ذم العصبية والتحذير منها : ١٦

٤- الجزاء الذي يناله الوالغ في العصبية : ١٦

٥- قاعدة الأخوة الإيمانية : ١٧

أمور يخطئ من يظن أنها من التعصب الجاهلي: ٢٠

الخاتمة ٢١

المراجع ٢٢